﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ٢٣﴾ [الرعد: 23]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

الـعـلاقـة بين عـقبى الـدّار، وبـيـن جـنّـة الـقـرار، حيث الأنس بالأخيار

لمّا أخبر الله تعالى في الآيات السّابقة أنّ المُتّصفين بما مضى تفصيلُه مِن صفاتٍ لهم عقبى الدّار، وهو لفظٌ مجمل، أتى بعد ذلك بما يفصّله ويُبيّنُه في هذه الآية، فقال: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا﴾.

ولمّا كان التَّنَعُّم بعقبى الدّار لا يكمُل إلّا بوجود الأحباب والأُنس بصالحيهم وبالقائمين على المكان، قال: ﴿يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ﴾.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿صَلَحَ﴾: أصلُ (صلح) يدلُّ على خِلاف الفساد، والصَّلاحُ: ضِدّ الفساد، وهما مختصّان بالأفعال في أكثر الاستعمال، وقوبل الصّلاح في القرآن تارةً بالفساد، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا﴾ [الأعراف: 85] وتارةً بالسّيّئة، كما في قوله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعۡتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمۡ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ [التّوبة: 102][1]. والمراد في الآية: الصّالحون الّذين يعملون الصّالحات ولا يفسدون، مِن آبائهم وأزواجهم وأبنائهم.

2) ﴿وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ﴾: الذَّرْءُ: إظهارُ الله تعالى ما أبداه، يقال: ذَرَأ اللّه الخَلْقَ، أي: أوجدَ أشخاصَهم، و"(الذّالُ والرّاءُ والهَمْزَةُ) أصْلانِ؛ أحَدُهُما: لَوْنٌ إلى الْبَياضِ، والآخَرُ كالشَّيْءِ يُبْذَرُ ويُزْرَعُ"[2]. وفي اشتقاقها ثلاثة أقوال: قيل هو من: ذرأ اللّه الخلق، فتُرِك هَمْزُه،

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (صلح).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ذرأ).

نحو: رَويّة وبَريّة. وقيل: أصلُه ذرويّة. وقيل: هو فعليّة مِنَ الذّرّ، نحو: قمريّة، ويُطلَق لفظُ الذُّرّية في الأصل على: الصّغار مِنَ الأولاد، وإن كان قد يقع على الصّغار والكبار معًا في التّعارف، كما في قوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾﴾ [يس: 41]، ويستعمل للواحد والجمع، وأصلُه الجمع[1]. والمقصود به في الآية: الأبناء لا غير؛ لقرينة النّص على الآباء في الآية.

❁ المَعْنى الإجْماليّ:

التّنويع في مظاهر التّنعيم، في جنّات النّعيم

بيّنتْ هذه الآيةُ الجزاءَ المُعدَّ في الآخرة لأولي الألباب، الّذين سبقت صفاتهم بحسن عاقبة الدّارِ، الّتي هي الجنّةُ العاليةُ ذاتُ القطوف الدّانية، الّتي يستقرّون فيها بلا انقطاع، ومعهم - زيادةً في تنعيمهم وأُنسهم - الصّالحون مِن أهلهم المُقَرّبين، وهم آباؤهم وأمّهاتُهم وأزواجُهم وأولادُهم، وفوقَ هذا يدخل الملائكةُ عليهم مِن كلّ جهة ومنزلٍ لهم في الجنّة؛ للسّلام والتّحية، والتّهنئة بدخول الجنّة.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيّ:

دلالة فصل قوله: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾ عمّا قبله:

كمال الاتّصال بين هذه الجملة وما قبلها، وأثره في المعنى

دلّ الفصل في قوله: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾، عمّا قبلَه على كمال الاتّصال بينهما؛ لأنّه إمّا أن يكون بدلًا مِن قوله: ﴿عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾، أو بيانًا له، فعقبى الدّار هي ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾.

سرّ التّعبير بالجمع دون الإفراد:

جمع الجنّات بسبب تعدُّدها، توازيًا أو ترقّيًا

التّعبير بالجمع في ﴿جَنَّٰتُ﴾ دون الإفراد (جنّة)؛ مُشْعِرٌ بأنّهم يتنقّلون في عقبى الدّار بينَ عددٍ مِنَ الجنّات؛ إمّا على سبيل التّرقّي، أو بالتّوازي في نفس الوقت، ويساعدُه قولُه تعالى بَعْدُ: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾.

(1) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (ذرو).

ويحتمل أن يكون الجمعُ بسبب تَعَدّد الدّاخلين فيها مِن أهل الصّلاح من أهلهم؛ سواء بالأصالة أو بالشّفاعة، إذ هم عدد كما يُنبئ عنه قولُه: ﴿وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾، وقد لا يكونون في مستوى واحد مِنَ الصّلاح يُؤهِّلُهم لأن يكونوا جميعًا في جنّة واحدة، ولكن في جنّات متفاوتةِ الدّرجات، ويكون الأنسُ بينَهم بالتّزاور في الجنّات. وممّا يؤكّد ذلك أنّ الجنّات سبعٌ، وفي كلّ واحدة منها مراتبُ ودرجاتٌ متفاوتةٌ، على حسب تفاوت الأعمال وأصحابِها، فَلِكُلّ طبقةٍ منهم جَنّة مِن تلك الجنّات.

دلالة وصفها بـ ﴿عَدْنٍ﴾:

جـنّــة عــدن للمتّقين، خلودٌ ونعيمٌ واستقرارٌ للمؤمنين

دلّ وصفُ الجنّات بـ ﴿عَدْنٍ﴾ على استقرارهم فيها منعّمين، بحيث لا يعتريهم فيها ما ينغّصُهم ولو كان قليلًا، وأيضًا لمناسبة معنى ﴿عَدْنٍ﴾ للمقام؛ فالعَدْنُ هو الإقامة والاستقرار، يقال: عَدَن بمكان كذا، إذا استقرّ، ومنه المَعْدِن لمُسْتَقَرّ الجواهر، أي: جنّات يُقيمون فيها، فهذا الوصف يَدُلّ على الاستقرار المُطْمَئِنّ لأهل الجنّة.

سرّ التعبير بالفعل ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ دون (يسكنونها):

أوّل مطالعة الخير، أقوى لحظات السّعادة

أوثِرَ التّعبير بـ ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ دون (يسكنونها)؛ لأنّ أبهجَ حالاتِ الإنسان تكون عند مطالعة ما يُسْعِدُه أوّلَ مَرّة؛ فتلك لحظةٌ لا تُنسَى، فإذا طال العَهْدُ بالسّكنى توطّنتِ النّفسُ على ما أَلِفَتْهُ، فتُصبِحُ السّعادةُ والبَهْجَةُ عادةً وطبيعةً، ولا تكون على درجتها في الحالة الأولى، ولأنّ السُّكنى لا تكون إلّا بعد الدّخول، فهي مرحلة تاليَة بعدَ الدّخول.

دلالة التّعبير بالمضارع:

ميزَةُ الجنّة أنّ نعيمَها مُتَجدّد، غيرُ مقطوع ولا ممنوع

في قوله تعالى: ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ عبَّر بالمضارع لاستحضار حالةِ البَهْجَة المُتَجدّدة، وهذا في حَدّ ذاته مِن مظاهر التّنعّم.

دلالة الواو في ﴿وَمَن صَلَحَ﴾:

إكـــرام أهـل الجنّة بمعيّة مَـن يُحبّونهم ويُؤنِسونهم مِنَ الصّالحين

الواو في قوله: ﴿وَمَن صَلَحَ﴾ واو المَعيّة، وفي التّعبير بها دلالةٌ على "زيادة الإكرام، بأن جعل أصولَهم وفروعَهم وأزواجَهم المُتأهِّلين لدخول الجنّة لصلاحهم، في نفس الدّرجة الّتي هم فيها؛ فمَن كانت مَرتبتُه دونَ مراتبهم لَحِقَ بهم، ومَن كانت مرتبتُه فوقَ مراتبهم لَحِقوا هم به، فلهُمُ الفضل في الحالَين"[1]، وقد تكون دلالةُ المَعيّة في أصل دخول الجنّة، وإن تفاوتت الدّرجات.

سِرّ التّعبير بـ ﴿وَمَن﴾ دونَ (الّذي):

يـلـحـق بـأهـل الـجـنّـة كـلّ الصّالحين مِن أهلهم

أوثِرَ التّعبيرُ بـ ﴿وَمَن﴾ دون (الّذي) في قوله: ﴿وَمَن صَلَحَ﴾؛ لإفادته العموم، حيثُ يَلْحَق بهم كلُّ مَن صَلَح مِن أهلهم، ولا يتأتّى ذلك مِنَ التّعبير بـ (الّذي)؛ لأنّه يُلْمَح منه التّخصيصُ.

سِرُّ اختيار فعل ﴿صَلَحَ﴾:

الصّلاح مَطلَبٌ نبيلٌ، ويكون اقترانُه دائمًا بالإيمان

اختيرَ التّعبيرُ بالصّلاح دون غيره؛ لأنّ الصّلاح اسمٌ عامٌّ يُطلَق على ما يُضادّ الفسادَ، وعلى سلوك طريق الهدى، وهو مُختصّ بالأعمال[2]، ولذلك يقترن عادةً في القرآن الكريم ﴿ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [البقرة: 25]، فكان في التّعبير به دلالةُ ما يتضمَّنُه مِن عموم عملِ الصّالحات، والبُعْدِ عمّا يُضادُّها مِنَ المُفسِدات والمُنكرات. كما أنّ النّص على الصّلاح والتّقيّدَ به، فيه "قطعٌ للأطماع الفارغة، لمَن يتمسّك بمُجَرّد حَبلِ الأنساب"[3]؛ لأنّ مجرّد القرابة دون عملٍ صالح يُسوِّغ الدّخولَ في أصل الجنّة، غيرُ كافٍ في الإلحاق، لكنّها تُفيدُ في التّرقّي بشفاعة أقاربهم مِن أهل الجنّة، حيثُ يُراد إكرامُ الشّافعين.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/131.
(2) الرّاغب، المفردات: (صلح)، الكفويّ، الكلّيّات، ص: 561.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/18.

سِرُّ التّعبير بالماضي ﴿صَلَحَ﴾:

رسـوخ صـفةِ الـصّـلاح، مِـن دلائـل المَـبرّة والفلاح

في التّعبير بالماضي ﴿صَلَحَ﴾، دلالةٌ على تحقّقهم بالعمل الصّالح، وتَمَكُّنِهم منه، ورسوخِ صفة الصّلاح في كلّ ما يصدر عنهم، مِن قول أو فعل.

دلالة عطف الآباء والأزواج والذّرّيّة على أهل الجنّة:

بيان علوّ شأن أهـل الجـنّـة، وكرامتهم على ربّهم

دلّ عطفُ الآباء والأزواج والذُّرّية على أهل الجنّة في قوله: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ﴾، على عُلوّ شأن أهلِ الجنّة وكرامتِهم على رَبّهم، مِن حيثُ إنّ الله تعالى يُلْحِق بهم الصّالحين مِن أهليهم الّذين كانوا يَحْتَفونَ بهم في الدّين، وكانوا يُؤْنِسونَهُم، وبهم يعتزّون ويَتَقوّون، وإن لم يكونوا - أي: الأتباع - في نفس رُتبتِهم مِنَ الفضل؛ لكنّهم يُلْحَقون بهم إكرامًا لهم وتفضُّلًا، كما قال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾ [الطور: 21].

سرّ التّرتيب في الآية:

مراعاة التّرتيب الـوجـوديّ، في سـيـاق الآيـة الكريمة

النّاظر في ترتيب هذه الأصناف: ﴿ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ﴾، يَجدُ أنّه قدَّم الأقدمَ وجودًا، ومَن كان السّببُ في غيره، فالآباءُ أوّلًا؛ لأنّهم السّببُ في وجودهم، ثمّ ذَكر أزواجَهم؛ لأنّهم معهم السّببُ في وجود ذُريّاتهم، ثمّ تأتي الذُّرّيّة أخيرًا باعتبارهم مُسَبَّبينَ عنهم.

دلالة التّعبير بالجمع:

الـجـمـع في الأصـنـاف لشُمول كلّ مَن حقّقوا الأوصافَ

الجمعُ في الآباء ليَشْمَلَ الأمّهاتِ، وفي الأزواج ليَشْملَ الزّوجاتِ المُتعدّدات، دونَ تمييزٍ بينهنّ إلّا مِن حيثُ وجودُ الصّلاح أو عدمُه، ثمّ الجمعُ في الذّرّيّة؛ ليَشْمَلَ كلَّ مَن صَلَحَ منهم، ذكورًا وإناثًا، وفيه إشارةٌ إلى سعة كرم الله تعالى على عباده، بتوسيع دائرة القرابة الصّالحة في الجنّة، وفيها بشارةٌ للمُطيع بكلِّ ما يزيدُه سرورًا

وبهجة؛ فإذا بشّر اللّه المُكَلفَ بأنّه إذا دخل الجنّة يحضر معه أهلُه، يعظُم سرورُه، وتَقْوَى بهجتُه، ولبيان أنّ مِن أعظم سرورِهم أن يجتمعوا، فيتذاكروا أحوالَهم في الدّنيا، ثمّ يشكرونَ اللّه تعالى على الخَلاص منها[1].

سرّ التّعبير عن النّساء بالأزواج:

الـرّجـل والمـرأة زوجـــان، لا فـــردان، لـما في الـزّوجـيّـة مِـن معنى التّكامل

يعبّر عنِ امرأة الرّجل بالزّوج، كما يُعبّر عنِ الرّجل أيضًا بالزّوج، فالمرأة زوج الرّجل، والرّجل زوج المرأة، مِن حيثُ إنّ كلّ واحد منهما كان فردًا قبلَ أن ينضمّ إليه الآخرُ ويقترنَ به، ثمّ صارَ زوجًا بهذا الاقتران. وهذا هو الأصل كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: 35]، وقولِه: ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ﴾ [الأنبياء: 90]، ولا يقال: زوجة بالتّاء إلّا عند وجود اللّبس، ولم يذكر في القرآن بالتّاء مطلقًا. وفيه إشارةٌ إلى حَثّ النّساء على الزّواج؛ لتنالَ وصْفَ الزّوجيّة، الّذي لا يتأتّى إلّا بالزّواج، ويكون سببًا مع الصّلاح في نعيم الجنّة.

سرّ التّعبير عنِ الأبناء بلفظ ﴿وَذُرِّيَّتِهِمْ﴾:

دلالـة الـذّرّيّـة على الانتشار في البَرية

عبَّر عنِ الأبناء بالذّرّيَّة للدّلالة على انتشارهم وتَفرُّقِهم، كما ينتشرُ الذَّرُّ، فهو مأخوذ منه على قول[2].

دلالة ذكر هذه الأصناف دون التّعبير عنهم بالأهل:

التّفصيل دلالةٌ على الاستقلال في التّفضيل

لفظُ (الأهل) يشمل كلّ مَن يجمعُهُم نَسَبٌ، ومعهم الزَّوجاتُ أيضًا[3]، غيرَ أنّ القرآن الكريم آثَر التّفصيلَ؛ للدّلالة على أهميّة كلِّ فئةٍ، أهميّةً مستقلّةً، بحيثُ لا تَسُدّ فئةٌ منها مَسَدّ فئةٍ أُخْرى، فكلُّهم مطلوبون مَحْبوبون، وكلُّهم مِن وسائل نعيم أهل الجنّة، فلا تطيبُ الجنّة، ولا تحلو ببعضهم دونَ بعضٍ.

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 13/143.
(2) الزّمخشريّ، الفائق في غريب الحديث: (ذرو).
(3) الرّاغب، المفردات: (أهل).

سرّ عدم إعادة الفعل (يدخُلوُن):

ذِكْـــرُ الآبـــاءِ والأزواجِ والذّرّيّات لا بالقَصْد، ولكن للتّبعيّة لأهل الجنّة

قوله: ﴿وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ﴾ الآية، معطوف على ضمير فاعل ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾، والمعطوف مشترك مع المعطوف عليه في الحُكم، وتابعٌ له، ولأنّه كذلك لم يُعِدْ معه الفعلَ (يدخُلوُن)، وهذا من جهة الصّناعة النّحويّة، وأمّا مِن جهة البلاغة والتّركيب؛ فَعَدمُ إعادتِه راجعٌ إلى كون الآباء والأزواجِ والذّرّيّاتِ، ليسوا مقصودين في الخطاب، وذِكْرُهم إنّما ورد للتّبعيّة لأهل الجنّة، من حيثُ كونُ إلحاقِهم بهم مِن مُكَمّلاتِ نعيمِهم، وطيبِ عيشِهم في الجنّة، وللتّفريق بينَ ما كان أصلًا، وما كان تبعًا.

دلالة الواو في: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ﴾:

مـــن وســائـــل التّنعيم دخولُ الملائكة عليهم، لـــلـــتّرحـــيـــب والتّكريم

الواو في قوله: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم﴾ واو الحال، والجملة دالّة على التّرقّي في تنعيم أهل الجنّة، على معنى: أنّه فوق إلحاقِ أهلِهم بهم؛ لإسعادهم بالأُنس بهم، فإنَّ الملائكة - الّذين هم عباد الرّحمن المقرّبون منه، الطّائعون له أبدًا - زيادةً في إكرامهم ﴿يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم﴾، ونظيرُ هذا في الدّنيا: أن يرسلَ الملكُ وفدًا مِن كبار حاشيتِه، وأعظمِ المُقرّبين لديه، لاستقبال بعضِ ضيوفِه، والتّرحيبِ بهم، وتبشيرِهم، فلا غَرْوَ أنّه وسيلةٌ مُعَبِّرة عن عُلوّ مكانتِهم لَديه.

دلالة التّعبير بالجملة الاسميّة:

ثـبـوت دخـول الملائكة عليهم للتّحيّة والإكرام والتّبجيل

التّعبيرُ بالجملة الاسميّة: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ﴾ يَدلّ على ثُبوت دخولِ الملائكةِ عليهم؛ للتّرحيب والتّحيّة والإكرام، ومِن كلّ باب، واستدامته بلا تَقَيّد بزمن.

دلالة التّعبير بالمضارع ﴿يَدْخُلُونَ﴾:

دلّ التّعبير بالفعل المضارع ﴿يَدْخُلُونَ﴾، في قوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ﴾ على تجدّد هذا الدّخول، والظّاهر: أنّه

مُتَرتّب على تَجَدُّد وفودِ الملائكة المُرَحِّبين بالمسلمين، على معنى: أنّه كلّما انتهى وفدٌ مِنَ الملائكة مِن مُهِمّته، يتبعُه وفدٌ آخر. والظّاهرُ: أن يكون لكلّ وفدٍ منهم خصوصيّةٌ في التّرحيب وتقديم الهدايا، وإلّا كان تكرارًا يدعو إلى السّآمَة، وهو خِلاف المقصود بلا شَكّ.

تجدّدُ دخولِ الملائكةِ على أهل الجنّة، واستمرارُه باطّراد

سرّ التّعبير بالفعل ﴿يَدۡخُلُونَ﴾:

يبدو أنّ السِّرّ في التّعبير بـ ﴿يَدۡخُلُونَ﴾، دون (يزورون)؛ لكونِ هؤلاء الملائكةِ لا يُطيلون المَقام، كما يفعل الزّائرُ، ولكنّهم فقط يدخلون عليهم للتّرحيب والسّلام والبِشارة، وسؤالِهم عمّا إذا كانوا يحتاجون شيئًا، كما يَفْعَل عادةً المَلِكُ بضيوفه مِن أهل الصّفوة، فإنّه يُسَخّر لهم مَن يَتَفَقَّدُ أحوالَهم، وكذلك للإشارة إلى فضل أهل الجنّة على الملائكة، ولو عبَّر بالفعل (يزورون) لكانتِ الملائكة هي الأفضل؛ لأنّها كانت ستحتاج إلى مَن يقوم على ضيافتهم منهم.

سببُ دخولِ الملائكة، التّرحيبُ والسّلامُ، لا طولُ المَقام

دلالة التّقديم والتّأخير:

دلّ تقديمُ الجارّ والمجرور ﴿عَلَيۡهِم﴾، على قوله: ﴿مِّن كُلِّ بَابٍ﴾، على اختصاصهم بهذا، وقَصْره عليهم، فالملائكةُ يدخلون عليهم هم، لا على غيرهم، ممّن لا يتّصفون بصفاتهم.

قَصْرُ دخولِ الملائكة على الموصوفين بالصّفات المذكورة

بلاغة الكناية:

التّعبير بقوله: ﴿مِّن كُلِّ بَابٍ﴾ هو كناية عن كَثْرة غَشَيان الملائكةِ إيّاهم، بحيث لا يخلو بابٌ مِن أبواب مساكنهم لا تدخل منه ملائكةٌ؛ لكونه جالبًا لمَسَرّتهم، فكان كثيرًا في الأمكنة. ويفهم منه أيضًا كثرتُه في الأزمنة، فهو مُتكَرّر؛ لأنّهم ما دخلوا مِن كلّ باب، إلّا لأنَّ كلّ بابٍ مشغولٌ بطائفة منهم، فكأنّه قيل: مِن كلّ بابٍ في كلِّ آن[1].

غرض دخولِ الملائكة على أهل الجنّة، توخّي مسرّتهم وأنسِهم

سرّ التّعبير بلفظ ﴿كُلِّ﴾ دون (جميع):

أوثِرَ التّعبيرُ بـ ﴿كُلِّ﴾ دون (جميع)، في قوله تعالى: ﴿مِّن كُلِّ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 13/132.

بَابٍ﴾؛ لكونه مُفيدًا للاستغراق والشّمول، أمّا التّعبير بـ (جميع) وإن كان مِن صيغ العُموم كذلك، إلّا أنّه قد يكون أغلبيًّا لا مُسْتَغرِقًا، ولذلك لَمّا أراد الله تعالى الاستغراقَ في قوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ [يونس: 99]، وقوله: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۝٣٠﴾ [الحجر: 30]، نصّ على (كلّ) قبلَ ﴿جَمِيعًا﴾ [يونس: 99] و﴿أَجْمَعُونَ ۝٣٠﴾ [الحجر: 30].

الدّخول من كلّ الجهات، وعَبْرَ كـلّ الأبـواب، يُفيدُ الاستغراقَ والشّمولَ

دلالة التّعبير بالإفراد ﴿بَابٍ﴾ دون الجمع (أبْوابٍ):

الّذي يظهر في هذا، أنّ المقصود كلُّ باب مُعَدٍّ لهم خصوصًا، وليس كلّ أبوابِ الجنّة، فلو قال: (أبوابها)، لأفهم أنّ المعنى: كلّ أبواب الجنّة، وهو غيرُ مقصود؛ إذِ المقصودُ أبوابُهم هُم في الجنّة. ويؤيّد هذا المعنى، الآثارُ الواردةُ في تحديد باب للصّائمين، لا يدخُل منه غيرُهم، وهو باب الرّيّان[1].

لكلّ فريق من أهل الجنّة أبوابٌ مخصوصة

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيّةُ:

الأبناء والذّرّيّة:

الأبناء والذّرّيّة مِن باب واحد، حيثُ يُطلقان على نسل الإنسان، مع فرقٍ سيذكر بَعدُ، قال ابن منظور: "الذّرّيةُ: اسْمٌ يَجْمَعُ نَسْلَ الإنسان مِنْ ذَكَرٍ وأُنثى، وأصلها الْهَمْزُ، لَكِنَّهُم حَذَفوهُ فَلَم يَسْتَعْمِلوها إلّا غَيْرَ مَهْموزَةٍ، وقيلَ: أصلها مِنَ الذَّرِّ، بِمَعْنَى: التَّفْريقِ؛ لأنّ الله تعالى ذَرَّهُم في الأرض"[2]. ويُفَرّق بينهما: بأنّ لفظ الذّرّيّة مِنَ الأضداد، بحيث يَجيء تارَةً بِمَعْنى الْأَبْناء، وتارَةً بِمَعْنى الْآباء، وليس كذلك لفظ الأبناء، وممّا جاء فيه لفظ الذّريّة بمعنى الآباء،

كـلّ الأبنـاء مِـنَ الـذّرّيّـة، وليس كـلّ الـذّرّيّـة مِـنَ الأبناء

(1) فعن سَهْلِ بن سعد ﷺ، عَنِ النَّبي ﷺ قَالَ: «إنّ في الجنّةِ بابًا، يُقالُ لهُ: الرّيّانُ، يدخُلُ مِنهُ الصّائِمُون يوم القيامةِ، لا يدخُلُ مِنهُ أحدٌ غيرُهُم، يُقالُ: أين الصّائِمُون، فيقُومُون، لا يدخُلُ مِنهُ أحدٌ غيرُهُم، فإذا دخلُوا أُغلِق، فلم يدخُل منه أحدٌ». أخرجه البخاريّ في صحيحه، برقم: (1797)، ومسلم في صحيحه، برقم: (1152).

(2) ابن منظور، لسان العرب: (ذرر).

قولُه تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾﴾ [يس: 41]، وممّا جاء فيه لفظُ الذّرّيّة بمعنى الأبناء، قولُ الله تعالى على لسان زكريّا عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ [آل عمران: 38]؛ كما أنّه أوسع مدًى، وأشمل مِنَ الأبناء؛ لأنّه يشمل أيضًا أولادَ البنات، ويُستَدلّ له بأنّ الله تعالى جعل سيّدنا عيسَى عليه السلام، مِن ذُرّية سيّدنا نوح وسَيِّدنا إبْراهيم عَلَيْهِما الصَّلاة والسَّلام، بِجِهَة الْأُمّ[1].

أمّا لفظ الأبناء فهو جمع ابن، وهو كلّ ما وُلِد ذكرًا، ولذلك قالوا: لا يتناول لغةً أبناءَ البنات، كما قالَ الشّاعِر[2]:

بَنونا بَنو أبْنائِنا وبَناتُنا *** بَنوهُنّ أبْناءُ الرِّجالِ الأباعِدِ

وعلى هذا فأولاد البنات مِنَ الذّرّيّة وليسوا مِنَ الأبناء.

ويُطلَق لفظُ الأبناء على كلّ ما ترتّب على غيره بالسّببيّة أو التّبعيّة أو المُلازَمة أو المشابهة، فيقال: ابنُ الصّحراء؛ لمَن يداوم سلوكَها، وابنُ السُّرى؛ لمَن يُكثِر مِنَ السّير ليلًا، وتقول: هو ابنُ فلان، بمعنى: أنّه منسوبٌ إليه، ولهذا يقال: النّاس بنو آدمَ؛ لأنّهم منسوبون إليه، وكذلك بنو إسرائيل؛ لأنّهم منسوبون إليه، وبناءً على ذلك: فالابن منظورٌ فيه إلى الاختصاص بالنّسب ومداومةِ المصاحبة، والذّرّيّة منظورٌ فيها إلى الخَلْق والكَثْرة والتّفرّق عن أصل واحد، وعلى هذا، فبين اللّفظين عمومٌ وخصوصٌ مُطْلَق، فكُلّ الأبناء مِنَ الذّرّيّة، وليس كلّ الذّرّيّة مِنَ الأبناء[3].

(1) الكفويّ، الكلّيّات، ص: 462.

(2) بيت مشهور، ذُكر في ديوان الحماسة، ولم ينسب إلى أحد، ينظر: المرزوقيّ الأصفهانيّ، شرح ديوان الحماسة، ص: 369.

(3) العسكري، الفروق اللّغوية، ص: 12، والرّاغب، المفردات: (ابن) و(ذرو).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الرابع والعشرون، سورة الرّعد من الآية 16 إلى سورة إبراهيم الآية 25
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الرابع والعشرون، سورة الرّعد من الآية 16 إلى سورة إبراهيم الآية 25
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 24 ، 808 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-21-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 24 : المجلد الرابع والعشرون، سورة الرّعد من الآية 16 إلى سورة إبراهيم الآية 25.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-21-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1718375 بتاريخ 2024/02/19م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»